

Dirassat & Abhath

The Arabic Journal of Human
and Social Sciences



مجلة دراسات وأبحاث

المجلة العربية في العلوم الإنسانية
والاجتماعية

EISSN: 2253-0363

ISSN : 1112-9751

الرحلة أداة تواصل بين العرب والغرب الأوروبي خلال القرن 19

"الرحلة المصرية والتونسية نموذجا"

The journey was an Arab-West European contact tool during the 19th
century

Egyptian an Tunisian journey model "

Doctoral student Fatma zohra rahmani فاطمة الزهراء رحمانى

Supervisor Docteur Mohammed Deraje د. محمد دراج

University Alger 2 جامعة الجزائر 2

fat.histoiremoderne@gmail.com

تاريخ القبول : 2018-11-22

تاريخ الاستلام : 2018-09-18

ملخص:

جاءت هذه الدراسة لإبراز الدور الرئيسي الذي لعبته الرحلة المصرية والتونسية في الانفتاح على أوروبا خلال القرن 19، من خلال التركيز على رحلات كل من رفاة رافع الطهطاوي ومحمد الطنطاوي ومحمد أمين فكري بك في مصر، وخير الدين التونسي وأحمد ابن أبي الضياف ومحمد بيرم الخامس في تونس. فهي تتضمن وصفا يكاد يكون شاملا ومفصلا عن مختلف جوانب الحياة المتقدمة في الغرب، بالإضافة إلى ماتحتويه من تفسيرات وتحليلات فكرية لأسباب الاختلاف بين المنظومة الحياتية للمجتمعات الأوروبية التي زارها الرحالة من جهة، والوسط الذي قدموا منه من جهة ثانية.

الكلمات المفتاحية:

الرحلة المصرية، الرحلة التونسية، التواصل الحضاري.

Abstract

This study is intended to highlight the main role played by the Egyptian and Tunisian journey in opening up to Europe during in the 19th century by focusing on the trips of Rafea El-Tahtawy, Mohamed El-Tantawy, Mohamed Amin Fikri Bek in Egypt, Khair El-Din El-Tunisi, Ahmed Ibn Abi El-Diyaf and Mohamed Birm. It includes a nearly comprehensive and detailed description of the various sides of developed life in Western countries. In addition to the explanations and intellectual analysis of the reasons for the difference between the life system of European communities visited by travelers on the one hand and the environment they came from on the other hand.

Key works :

The Egyptian voyages, Tha Tunisian, Cultural Comunication

مقدمة

القرآن الكريم في أكثر من موضع منها قوله تعالى: "إيلافهم رحلة الشتاء والصيف"⁽²⁾. وللرحلة أنواع منها: الرحلة الحجازية لأداء فريضة الحج، الرحلة العلمية لطلب العلم، الرحلة الإستكشافية، الرحلة التجارية⁽³⁾.

2. الرحلة العربية خلال القرن 19

برزت الرحلة العربية خلال القرن 19 كأحد أهم قناة لمعرفة الآخر واستكشاف تنظيماته ووسائل تديره لذاته، ومكامن قوته وضعفه للاستفادة منها عند الضرورة. فهي نتيجة حتمية لمعاينة الرحالة بشكل مباشر لمظاهر المدنية الغربية من مخترعات وعلوم وفنون وأنظمة سياسية حديثة؛ وذلك بعد أن أتاحت لهم فرصة زيارة أوروبا إما في ظل الرغبة الشخصية في الإطلاع والاكتشاف أو بتكليف من ولاة أمورهم في إطار بعثة تعليمية أو بعثة دبلوماسية⁽⁴⁾. وتظهر أهمية الرحلة العربية إلى أوروبا في نقطتين أساسيتين: الأولى تتمثل في كونها تتضمن وصفا يكاد يكون شاملا ومفصلا

عن مختلف جوانب الحياة المتقدمة في الغرب. حيث اهتمت بالتعريف بأهم إنجازات أوروبا الحضارية مبرزة التقدم التقني والعمرائي، فضلا عن أنها اعتنت برصد أوجه النشاط السياسي ومؤسسته القائمة ووظائفه واختصاصه إلى جانب تشريع القوانين، دون أن تهمل التنظيمات الاقتصادية. كما لم تخل من وصف العادات والتقاليد الاجتماعية التي سادت الأوساط الغربية، وكل ماله علاقة بالنشاط العلمي ومؤسسته⁽⁵⁾. فعبرت بذلك عن لحظات الإعجاب والاندهاش عند الرحالة العرب لما وصل إليه الغرب من تقدم في مختلف الميادين.

أما الجزء الثاني؛ فيتمثل فيما تحويه من تفسيرات وتحليلات فكرية لأسباب الاختلاف بين المنظومة الحياتية للمجتمعات الأوروبية التي زارها الرحالة العرب من جهة، والوسط الذي قدموا منه من جهة ثانية. فهي تتضمن مقارنات عقدها أصحابها بين ما حققه الآخر من تقدم، وما ينعم به من حريات ورفاهية في مقابل ما تعانيه الأمة الإسلامية من ويلات الحكم الاستبدادي وتدهور أنظمة الدولة، ومنه الدعوة إلى تغيير مظاهر الحياة والمجتمع من خلال الإقتداء بالتمودج الأوروبي وهذا ما لا نجد في الرحلة العربية القديمة⁽⁶⁾.

3. أثر الرحلة المصرية والتونسية في الإنفتاح على الغرب

الأوروبي

شهدت مصر وتونس في ظل الظروف المتدهورة التي ميّزت مطلع القرن 19، في الوقت الذي وصلت فيه أوروبا إلى أوج قوتها وتطورها في جميع الميادين، ترحال العدّيد من رجال الفكر والسياسة إلى البلدان الأوروبية. بغية البحث والكشف عن أسباب التقدّم الأوروبي، ومحاولة

شكّلت الرحلة العربية منذ العصور الوسطى أداة تواصل بين العرب والغرب الأوروبي، إذ تعدّ من المصادر الهامة التي أسهمت في الحديث عن الأوضاع العامة للعديد من البلدان الأوروبية، ولكنّها لم تتعدى النظرة الوصفية للحياة اليومية والتعريف بالمناطق جغرافيا، بالإضافة إلى النظرة العدائية لأوروبا باعتبارها عدوة الإسلام. ولما كان القرن 19 قرن التفوق والتقدم بالنسبة لأوروبا في حين تراجعت قوة العالم الإسلامي، فإن الرحلة العربية عرّفت تحولا في موضوعاتها وفي وظيفتها تحولا جعلها تبتعد عن الصورة التمثيلية المعهودة عنها، لتشكل بذلك رؤية جديدة إلى الغرب متسمة بالإعجاب الشديد والاندهاش بالتقدم الذي وصل إليه، ومنه الدعوة إلى ضرورة الاقتباس عنه والأخذ مما كان سببا في تطوره.

وعلى هذا الأساس جاءت هذه الدراسة كمحاولة لإبراز النظرة العربية الجديدة لأوروبا بعد أن اتسمت بالعداء، ومحاولة رصد إسهامات الرحالة العرب في إرساء المفهوم الجديد القائم على الاستعانة بمظاهر الحضارة الغربية، وتوظيفه كوسيلة للتخلص من وضعية الركود والانحطاط التي شهدتها الأمة الإسلامية. و نوه إلى أنّ هذا العمل اقتصر على الرحلة المصرية والتونسية لما لها من أهمية في تجسيد مفهوم التواصل الحضاري، فضلا عن كونها أولى الرحلات التي أطلعت العرب المسلمين على ما وصل إليه الغرب من تقدم، ولمعالجة هذا الموضوع حاولنا طرح الإشكالية التالية: ما مدى مساهمة الرحلة المصرية والتونسية في انفتاح العرب المسلمين على أوروبا خلال القرن 19 ؟

وللإجابة على هذا السؤال، حاولنا تقسيم عناصر المقال إلى

النقاط التالية:

أولا: تعريف الرحلة لغة وإصطلاحا

ثانيا: ملامح الرحلة العربية خلال القرن 19

ثالثا: أثر الرحلة المصرية والتونسية في الإنفتاح على الغرب الأوروبي

1) الرحلة المصرية

2) الرحلة التونسية

1. تعريف الرحلة لغة وإصطلاحا

الرحلة لغة من الإرتحال وجمع للفعل رحل، والرحلة كتاب يصف فيه الرحالة ما رأى⁽¹⁾. واصطلاحا تعني الانتقال من مكان لآخر لتحقيق هدف معين ماديا كان ذلك الهدف أم معنويا. وقد ورد هذا اللفظ في

الذي كان دليلاً على أنفاتها وجمالها⁽¹³⁾، صور لنا الحرية والإستقلالية والأحقية التي كانت تتمتع بها المرأة في أوروبا، مركزاً في ذلك على أحقيتها في التعليم التي منحت لها المشاركة الفعالة في المجتمع. وبناءً على ذلك دعا الطهطاوي إلى تعليم المرأة العربية الإسلامية عامة والمصرية على وجه الخصوص، وإخضاعها للحقوق والواجبات التي يخضع لها الرجل. كما أَلَّف كتاباً سماه "المرشد الأمين للبنات والبنين"⁽¹⁴⁾، كما كان له الفضل - من خلال أفكاره- في تأسيس مدارس للبنات خاصة ما بين 1873 - 1879⁽¹⁵⁾. وفي مقابل ذلك كَلَّمه نجد بعض العبارات الدالة في الرحلة على نفور الطهطاوي من بعض تصرفات المرأة الأوروبية والذي تتنافى والشريعة الإسلامية، كقلة عفافهن وإختلاطهن المبالغ فيه مع الرجال وغيرها⁽¹⁶⁾. وننوه هنا إلى أن نفور الطهطاوي شمل المجتمع الفرنسي كَلَّمه لا سيما تلك التي تتعلق بالمعتقد الديني والسلوك الأخلاقي المنافي للإسلام⁽¹⁷⁾.

لكن الذي استوقف الطهطاوي خلال رحلته وجعله يسهب في الحديث عنه هو النظام السياسي السائد في فرنسا آنذاك. إذ نجده يركز على نظام الحكم، ويصفه وصفاً دقيقاً وشاملاً باعتباره المساهم الأول في قوة ورقي وثروة أوروبا وكونه نظام يقوم على العدل. بالإضافة إلى عرضه للدواوين المساعدة للملك في تدبير شؤون الدولة مثل: ديوان أهل المشورة من أعيان البلاد، وديوان النواب، وديوان الوزراء والوكلاء، وديوان الدولة للمشورة⁽¹⁸⁾. كما أورد حديثاً عن السلطات الثلاث (التشريعية والتنفيذية والقضائية). ولم يقف الطهطاوي عند هذا الحد، بل عكف على ترجمة الدستور الفرنسي لينقل لبلده الأسس التي ينبغي أن تبني عليها الدولة الحديثة، وحاول الوقوف على بعض مواد الدستور لما لها من أهمية في نظره⁽¹⁹⁾.

في الوقت الذي وصف فيه الطهطاوي مظاهر الحياة في أوروبا بشكل عام وفرنسا بشكل خاص، كان يعقد مقارنات بين الفرنسيين والمصريين، ليبين مدى الفرق بينهما سواء أكان ذلك على مستوى السلوك أو على مستوى الإنجازات الحضارية، وهنا تبرز أهمية رحلته وما فرضته عليه من تغيرات ذهنية والتي نجدها بارزة في عودته إلى مصر ومحاولة التأثير في الحياة اليومية للناس بما يخدمهم ويخلصهم من الظلمات وبما يتطابق والشريعة الإسلامية. ولم يكن الطهطاوي داعياً للتطور فقط، وإنما كان مساهماً في إنشاء مدرسة الألسن سنة 1835 التي تتكفل بتدريس اللغات العالمية كالفرنسية والإنجليزية⁽²⁰⁾ ونهوضه بالصحافة، وتوليه لعمل الترجمة في مدرسة الطب ومدرسة المدفعية⁽²¹⁾.

الاستفادة منه للخروج من وضعية الإنحطاط والوهن الذي أصاب البلدين خاصة والعالم الإسلامي عامة. وبناءً على ذلك برزت العديد من الرحلات المصرية والتونسية، التي كان لها الأثر البالغ في الإنفتاح على الحضارة الغربية والتعرف على وسائل التقدم الأوروبي. وقيل التطرق إلى هذه الرحلات، لأبد من الإشارة إلى أنه تم ترتيبها على أساس درجة تأثيرها في المجتمع.

1.3 الرحلة المصرية:

أ) رحلة رفاعة رافع الطهطاوي إلى باريس (فرنسا):
جاءت رحلة رفاعة رافع الطهطاوي⁽⁷⁾ في ظل توليه لإمامة البيعة العلمية التي أوفدها حاكم مصر محمد علي باشا سنة 1826 إلى فرنسا، والتي دامت قرابة 6 سنوات تعرّف من خلالها - الطهطاوي - على كل ماهو جديد ومختلف عما هو سائد في مصر خاصة والعالم الإسلامي عامة. فكانت أول رحلة عربية إلى أوروبا خلال القرن 19. عندما كانت هذه الأخيرة قد جنت ثمار التقدم والتطور الذي وضعت أسسه إبان النهضة الأوروبية. في حين كان المجتمع المصري يعاني الضعف والتخلف. وأول رحلة تأمل فيها صاحبها في وعي عميق ومن موقع المحب الناقد، حضارة الغرب الحديثة ممثلة في حضارة الفرنسيين، ومنه توعية المتلقي بنوعية ذلك المكتشف الجديد⁽⁸⁾. حيث نقل الطهطاوي في كتابه المعنون بـ"تخليص الإبريز في تلخيص باريز أوالديوان النفيس بإيوان باريس"⁽⁹⁾، تجربته التي عاشها في فرنسا إلى جانب رصده للهوّة الشاسعة بين الغرب والعالم الإسلامي على مستوى التقدم والحضارة. فكان بذلك مزيجاً من السيرة الذاتية وما عايشه عن كُتب من مظاهر الرقي والتحضّر خلال تواجده في باريس⁽¹⁰⁾.

من الأمور التي وصفها الطهطاوي في رحلته "تخليص الإبريز" معالم المدينة الباريسية، حيث وصفها وصفاً شاعرياً دقيقاً. كما وصف مظاهر التنظيم الاجتماعي وحسن الإدارة والحرية والقوانين والعلوم، مما يجعلنا قادرين على الوقوف على هذه المظاهر التي تعكس حجم الهوة بين العالمين -الإسلامي والأوروبي. وكما يبدو من العنوان أن أساس الرحلة هو وصف لمدينة باريز وصفاً، جعل منها نموذجاً للرقّي وحسن العمارة وموطن الحضارة. فنجدته يصف الشوارع الفرنسية والمحلات والمقاهي، وكل ما أحدثه الفرنسيون من مدارس وجامعات ومستشفيات ومسارح. إلى جانب وصفه لدور الأوبرا والمتنزهات ومعارض السيرك ووسائل النقل والمواصلات⁽¹¹⁾، إضافة إلى إعجابه بما توصل إليه الباريسيون من علوم وفنون وصنائع على اختلافها⁽¹²⁾.

ليس هذا وحسب؛ بل عكف رفاعة رافع الطهطاوي على تخصيص جزء كبير من رحلته للحديث عن المرأة الأوروبية-الفرنسية خصوصاً- ومكانتها المرموقة في المجتمع. فإلى جانب وصفه لمظهر المرأة الفرنسية

الروس في العلوم والفنون. مينا أثرها في إنشاء الأكاديميات وتأسيس المدارس. ضف إلى ذلك عرضه لقواعد اللغة الروسية وكيفية الترجمة منها وإلها⁽²⁶⁾. وكأنه أراد من خلال ذلك كشف حال اللغة العربية آنذاك في العالم الإسلامي، كما فصل في ذكر المجلات والجرائد التي عرّفت عند الروس مثل الجرائد اليومية والشهرية.

صحيح أنّ رحلة محمد عياد الطنطاوي لا تضاهي رحلة رفاة رافع الطهطاوي⁽²⁷⁾، كونها كانت لبلاد آخذة في أسباب التمدن وتسعى للهبوض بمجتمعاتها، على عكس الثانية التي كانت تقدمت في مجمل مساراتها الدستورية والتعليمية والاجتماعية، ناهيك عن إزدهار الصحافة والحريات والثقافة بشكل عام. إلا أنّها ساهمت وبشكل كبير في وضع تقدم الروس أمام أولي الأمر في مصر، من أجل خوض غمار الإصلاح والإقتداء بالنموذج الروسي.

ت) رحلة محمد أمين فكري بك إلى ستوكهولم (السويد): لعبت رحلة محمد أمين فكري بك⁽²⁸⁾ المسماة بـ: "إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا"⁽²⁹⁾ - إلى جانب الرحلات المذكورة آنفا - دورا هاما في انفتاح العرب على الحضارة الغربية، فهي مثال ممتاز للمكانة البارزة التي احتلتها أوروبا في فكر وتطلعات رواد الثقافة المصرية في القرن 19. لكن ما يميزها عن ما سبقها هو أنّها جاءت في الفترة التي كانت فيها مصر محتلة من قبل بريطانيا. وقد جاءت هذه الرحلة في ظل المهمة الرسمية التي كلّف بها الوفد المصري- محمد أمين فكري بك أحد أعضائه- لحضور المؤتمر العالمي الثامن للمستشرقين في ستوكهولم (العاصمة السويدية) سنة 1889، من قبل الخديوي توفيق (1852-1892)⁽³⁰⁾.

استعرض محمد أمين فكري بك في رحلته هذه كافة جوانب الحياة الأوروبية في أواخر القرن 19، بل قدّم خريطة وصفية ودقيقة للقرى. ومن الأمور التي أشاد بها وخصص لها جزءا كبيرا هو ذلك التطور الاقتصادي الذي أدركته أوروبا في الصناعة والتجارة والزراعة وفي ما توصلت إليه من اكتشافات وإختراعات، بالإضافة إلى إشادته بالمصارف ونظام البورصة والشركات المنافسة الحرة وغيرها⁽³¹⁾. وقد نبغ ذلك كلّه من إيمانه بأنّ النظم الاقتصادية الغربية برهان على رقي أوروبا الحضاري، ومن أنّ تلك النظم ليست بغريبة عن الإسلام واقتباسها يمكن الشرق من التطور والرقي من غير أن يفقده هويته.

زيادة على ذلك وصف فكري بك في رحلته مظاهر العدالة الاجتماعية عند الأوروبيين ليحث مواطنيه على اقتفاء أثرهم، وبعض الصفات الأخلاقية التي تحلى بها الأوروبيون وعلى رأسها نشاطهم و دأهم على العمل وصدقهم وأمانتهم فضلا عن إكرامهم للغريب

ب) رحلة محمد عياد الطنطاوي إلى بطرسبورغ (روسيا): من الرحلات التي يجدر التطرق إليها نظرا لأهميتها في تعريف مصر خاصة والعالم الإسلامي بشكل عام بما وصلت إليه أوروبا من تقدم وتطور وإن كانت لا تضاهي رحلة رفاة الطهطاوي، رحلة محمد عياد الطنطاوي⁽²²⁾ إلى روسيا وبالتحديد إلى مدينة بطرسبورغ في النصف الأول من القرن 19، لتولي مهمة تعليم اللغة العربية في جامعتها. وقد ساعد حب الإطلاع والتأمل عند هذا الرحالة في أن يقضي إجازاته متنقلا بين البلدان الروسية، ويطوف المنتزهات والغابات ويحضر الإحتفالات الرسمية والشعبية⁽²³⁾، وقد ضمن مظاهر التقدم في كتاب سماه: "تحفة أولي الألباب في أخبار بلاد روسيا" أو "تحفة الأذكياء في أخبار بلاد روسيا (1850-1840)". أين قدّم فيه وصفا تفصيليا لرحلته من القاهرة إلى بطرسبورغ، بالإضافة إلى وصفه لمعالم وثقافة وعادات المجتمع الروسي، فكان بذلك أول من يولي إهتماما في القرن 19 بأوروبا الشرقية مقارنة بالرحالة الذين ظهروا خلال هذه الفترة، والذين إهتموا بإظهار الصورة الجديدة لأوروبا الغربية بعد أن تحددت وجهتهم إليها⁽²⁴⁾.

إنّ ما يميّز رحلة محمد عياد الطنطاوي إلى روسيا، احتواءها على دراسة وصفية دقيقة لأوضاع مدينة بطرسبورغ من الناحية الجغرافية، إذ فصل في موقعها وخطوط طولها وعرضها وارتفاعها واتصالها بالأهنا، ووصف بناياتها وأشجارها ومياهها وحدائقها وبساتينها وقصورها، كما أفاض في وصف بيوتها الجليدية وتصميمها. لكن تركيزه انصب حول فترة حكم بطرس الأكبر (1672-1725) ودوره في نهضة روسيا وتقدمها في المجالات العسكرية والسياسية والاجتماعية والثقافية، من خلال إصداره للعديد من الفرمانات المتعلقة بتحسين وتوسيع وتنظيم المدينة وتنمية العلاقات الخارجية إيفاده للبعثات العلمية إلى أوروبا للإطلاع على تمدنها وتقدمها، وتأسيسه لمعاهد التعليم العليا كمعاهد العلوم والتجارة وغيرها. فضلا عن تأسيسه للمكتبات، وإقامته للمسرح والمتاحف وغيرها من الانجازات ويستمر بعد ذلك في الحديث عن خلفاء بطرس وأعمالهم⁽²⁵⁾.

وتكمن أهمية هذه الرحلة أيضا في أنّها زودت العرب المسلمين عامة والمصريين خاصة بمعلومات إجتماعية للمجتمع الروسي من خلال مشاهداته وخبرته الطويلة. فقد عاش هناك عشرة أعوام سجل على إثرها ملاحظاته بدقة متناهية. ومن الأمور التي وصفها عوائد الروس وأخلاقهم وملاابسهم ومسكنهم ودينهم وعادات الزواج والتعميد والدفن ومراسم الولادة والأعياد، فضلا عن دور المرأة في المجتمع، كما وصف وسائل التسلية العامة للناس من رقص ولعب ورق ومسرح وغيرها. وقد أفرد الطنطاوي حيزا كبيرا من رحلته للحديث عن تقد

جاء كتاب "أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"⁽⁴⁰⁾؛ ليظهر مدى تأثير خير الدين بمظاهر الحضارة الغربية خلال ترحاله إلى أوروبا، وليبين جهوده الموجهة نحو إخراج مجتمعه والأمة الإسلامية من حالة الإعياء والضعف الذي أصابها. من خلال التنبيه لأهمية البحث والتنقيب عن مسالك جديدة للعلم والمعرفة ومواكبة العصر، ولن يتم ذلك - في نظره - إلا بالاقتراب من الغرب الذي وصل إلى أوج تطوره، واعتماد الوسائل التي أوصلته إلى ما هو عليه من تقدم⁽⁴¹⁾. والمتمعن في هذا الكتاب، يلاحظ مدى أهمية رحلات خير الدين في انفتاح العرب المسلمين على الغرب الأوروبي. فهو حصيلة مشاهداته ومعانياته خلال ترحاله إلى البلدان الأوروبية وخلاصة ل فكره وتأملاته، ووعاء فكري للمعلومات والآراء التي استقاها من كتب فرنسية في السياسة والتاريخ والاقتصاد والقانون، وأهم الأفكار التنويرية التي أخذها عن فلاسفة التنوير⁽⁴²⁾. إذ يتضمن وصفا دقيقا لعشرين دولة أوروبية، من حيث تاريخ البلد وجغرافيته وموقعه ومساحته وأهم ملوكه وتنظيماته الإدارية والسياسية والعسكرية والاقتصادية والاجتماعية، موضحا أهمية هذه التنظيمات في نهوض الأمم خاصة إذا ارتبطت بالحرية والعدل والمساواة والأمن⁽⁴³⁾.

سعى خير الدين جاهدا إلى تجسيد تصوراته وأفكاره الإصلاحية التي اكتسبها إثر احتكاكه بالغرب الأوروبي، ويظهر ذلك بشكل واضح من خلال مشاركته في إدخال الحياة الدستورية بتونس مثل ما هو الحال في أوروبا. حيث ساهم في إصدار قانون "عهد الأمان" سنة 1857، كما كان له دور في شرح الدستور التونسي أول دستور إسلامي سنة 1861⁽⁴⁴⁾. ضف إلى ذلك الإصلاحات الشاملة - خاصة عندما تولى منصب الوزارة الكبرى سنة 1873-⁽⁴⁵⁾ التي أقدم على تنفيذها لإنقاذ البلاد التونسية من أزماتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فكانت هذه الفترة من أهم حلقات تطور المجتمع التونسي في القرن 19.

ب) رحلة أحمد ابن أبي الضياف إلى فرنسا :

من بين الرحلات التونسية التي ساهمت في اكتشاف أوروبا ومظاهر التقدم فيها ، رحلة أحمد ابن أبي الضياف⁽⁴⁶⁾ إلى فرنسا عام 1846 رفقة أحمد باي الذي اصطحبه معه وعددا من رجال دولته بغية الإطلاع على الأنظمة الأوروبية العسكرية على وجه الخصوص. وقد دامت الرحلة 26 يوما، استكشف -ابن أبي الضياف- من خلالها مزايا الحضارة الأوروبية فتأثر بها، مما ساهم في تدوينه لمجريات الرحلة في جزء من كتابه المعنون بـ: "إتحاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان"⁽⁴⁷⁾، والذي ينظر إليه على أنه تجاوز وصف المسالك والمشاهدات البسيطة إلى التركيز على مقومات الحضارة الأوروبية من

وإحسانهم للفقير⁽³²⁾. كما لم يهمل وصف ما عاينه عن كتب من جوانب عمرانية وفنية، خاصة اللوحات والتماثيل والتحف التي شاهدها في معارض أوروبا ومتاحفها وحدائقها وشوارعها⁽³³⁾. فضلا عن وصفه للكائنات وطرازها الهندسي و ما زيتها من صور وتماثيل وما فيها من تحف قيمة. ليس هذا وحسب بل عمد إلى وصف القصور والبنائيات الكبيرة كالمسرح الذي اعتبره أسلوبا من أساليب تعليم الفضيلة وتهذيب الأخلاق، وأوضح أنّ الأوروبيين يجنون منه فوائد عديدة، فضلا عن الحكم والنصائح: فهو يخلق جو أنس وألفة بين المتفرجين، ويبرئ العمل لآلاف المؤلفين والممثلين والعمال⁽³⁴⁾.

من الأمور التي أشاد بها أيضا محمد أمين فكري العلوم الغربية ودورها في تطور ورقي أوروبا وسيطرتها السياسية، وأنّ العلوم الغربية هي العامل الأساسي في قوتها العسكرية والسياسية وتطورها الاقتصادي والتقني بل حتى في رقيها الأخلاقي أحيانا. وأنّ نقل ما اخترع و اكتشف في المجالات العلمية يمكن البلد المتخلف من اللحاق بركب الحضارة وإدراك المستوى الذي بلغته الأمم الغربية. وعليه وصف ما شاهده في الغرب من معاهد وجمعيات علمية مختلفة ومتاحف ومكتبات وعني أيضا بمؤسسات علمية مختصة كمدارس الحضارة⁽³⁵⁾.

2.3 الرحلة التونسية:

أ) رحلات خير الدين التونسي:

تعدّ رحلات خير الدين التونسي⁽³⁶⁾ الذي جمع في شخصه صفات رجل الدولة والمفكر والكاتب، من أهم الرحلات التونسية التي ساهمت بشكل كبير في انفتاح التونسيون على الحضارة الغربية؛ فيحكم تقلّده للعديد من المناصب الحكومية وتكليفه بمهام دبلوماسية، زار عشرون دولة أوروبية. حيث بقي متنقلا بين تلك الدول مدة طويلة (1853-1869)⁽³⁷⁾ تمكن على إثرها من دراسة الحضارة الأوروبية ومقوماتها وكذلك مؤسسات كبار دول أوروبا⁽³⁸⁾. فقد ساهمت هذه الرحلات في إحتكاك خير الدين بعدد كبير من رجال الفكر والسياسة، ومعاناة مظاهر التقدم فيها سواء أكان ذلك في المجال السياسي أو الإقتصادي أو الإجتماعي أو الثقافي، مما جعله يدرك ما آلت إليه الأمة الإسلامية عامة وتونس على وجه الخصوص من تراجع وإنحطاط، في حين كانت المجتمعات الأوروبية تنعم بالرفاهية والرتقي والإزدهار. ومنه محاولة إيقاظ ذوي الحزم من رجال السياسة والعلم بالتماس الوسائل الموصلة إلى حسن حال الأمة، وتنمية أسباب تمدنها بتوسيع قاعدة التعليم، وتطوير الزراعة والتجارة والصناعة. ضف إلى ذلك تحذيره لعامة المسلمين من تمادهم في الإعراض عن ما يحمدهم من سيرة الغير الموافقة للشرع، فالحق أحق أن يتبع، والحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها⁽³⁹⁾.

يهمل الجوانب الاجتماعية والثقافية؛ فقد خصص حيزا لا بأس به للحديث عن ظاهرة التكافل والتعاقد الاجتماعي داخل أوروبا، وأطنب في وصف بعض المسرحيات مثل المسرحية التي شاهدها رفقة أحمد باي في فرنسا⁽⁵⁶⁾.

ساهمت رحلة أحمد ابن أبي الضياف إلى فرنسا في إطلاعها على الحضارة الأوروبية ومزاياها، مما ساهم في إدراكه للفارق الشاسع بين ما وصل إليه الأوروبيون من تقدم في كافة الميادين، وما تعانیه الأمة الإسلامية من انحطاط. الأمر الذي دفعه إلى الدعوة بالأخذ عن الأوروبيين ومواكبة العصر. ليس هذا وحسب بل كان عاملا أساسيا في مشاركته الفعالة في تجسيد أفكاره الإصلاحية من خلال صياغة عهد الأمان 1857 ودستور تونس 1861⁽⁵⁷⁾.

ت) رحلات محمد بيرم الخامس التونسي :

اشتهرت إضافة إلى ما سبق ذكره رحلات محمد بيرم الخامس⁽⁵⁸⁾ التي تعددت أسبابها بين طلب العلم، والقيام بمهمات سياسية ولكن السبب الرئيسي هو التداوي بعد أن أصيب بمرض الأعصاب⁽⁵⁹⁾. وما يثير انتباهنا هو رغم تدهور صحة بيرم إلا أن شغفه لطلب الرحلة بحثا عن الاعتبار لم يفارقه، وقد رافق ذلك الشغف معاينة ميدانية فعلية لحياة الناس في أوروبا، حيث زار بعض البلدان الأوروبية في خمس رحلات فرنسا (في رحلتين)، إيطاليا إنجلترا مالطة. ونوه إلى أن بيرم لم يكتف بالترحال إلى أوروبا فقط، بل تعداها إلى زيارة البلاد العربية الإسلامية وذلك في العقد الأخير من حياته⁽⁶⁰⁾.

تتجلى رحلات محمد بيرم الخامس في كتاب سماه بـ"صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار"، والذي يقع في خمسة أجزاء⁽⁶¹⁾. ضمن فيه آراءه وتحليلاته لواقع بلاده وأوضاع العالم الإسلامي المحيط به، في مقابل نقل انطباعاته عن أحوال الغرب التي عاينها عن كثب، ففي الجزء الأول منه فاشتمل على مقدمة ومقصد، أما المقدمة فتحدث فيها عن حكم السفر والرحلة في الشريعة الإسلامية، ثم عرّف بالقارات الخمس جغرافيا، تاريخيا، إقتصاديا وسياسيا وإجتماعيا. وأما المقصد فقد وصف فيه رحلاته، وخصص فصلا طويلا في آخر الجزء الحديث عن تونس، ليستكمل في الجزء الثاني، أما الجزء الثالث فخصصه لرحلاته إلى إيطاليا وفرنسا، وأفرد الجزء الرابع للحديث عن الجزائر وبريطانيا ومالطة ومصر والحجاز. والجزء الخامس للحديث عن الحجاز والدولة العثمانية⁽⁶²⁾.

يصنف كتاب "صفوة الإعتبار" ضمن الرحلات التي اعتنى فيها صاحبه بمظاهر الحضارة الغربية التي تأثر بها، ودعا إلى ضرورة الاقتباس والإقتداء بها وتحديث الأنظمة بغية إصلاح أوضاع بلده

مبادئ إنسانية (الحرية ، العدالة ...)، وأنظمة سياسية واقتصادية، وأنماط فكرية. كما تضمن تحليلا وتبيانا لأسباب التفوق الأوروبي، وأسباب التخلف الذي تعانیه المجتمعات الإسلامية عامة والمجتمع التونسي بشكل خاص⁽⁴⁸⁾.

عائنه أحمد ابن أبي الضياف خلال رحلته التقدم الحضاري والأمن السائد في فرنسا، فأعجب بمظاهر الحضارة والعمران فيها. مما أدى إلى وصفه لها على أنها من أعاجيب الدنيا الدالة على قوة المملكة وضحامة ثروتها، والتي هي حصيلة لتطور العلوم والمعارف وشيوع العدل والأمن⁽⁴⁹⁾. ولم يخلو هذا الإعجاب من الانبهار بالعاصمة "باريس"⁽⁵⁰⁾. لكن أهم ما تأثر به أحمد بن أبي الضياف وعبر عنه في مؤلفه "إتحاف أهل الزمان" هو التنظيمات السياسية والدستورية، إلى جانب تأثره العميق بالحرية وما رافقها من عدل ومساواة. إذ نوه إلى أهمية القوانين وهذه التنظيمات والمبادئ في تقدم العمران واستقرار البلاد الفرنسية وتنظيم شؤونها⁽⁵¹⁾. وانعدامها في البلاد الإسلامية عامة والتونسية بشكل خاص. ومن هذا المنطلق دعا إلى الحد من ظاهرة الحكم المطلق، وتطبيق الحكم الدستوري الذي يقيد سلطات الحاكم وينظم عملية انتقال السلطة بعد وفاة الحاكم والتي كثيرا ما سببت حروبا أهلية، فضلا عن تنظيمه لشؤون الرعية. مستدلا في ذلك على حجج نقلية وعقلية تثبت أن فكرة الدستور لا تتناقض والشرع الإسلامي، بل هي ضمان العدل الذي هو جوهر الإسلام⁽⁵²⁾. وبالفعل تحقق له ذلك أمام رغبة أحمد باي في وضع دستور لتونس سنة 1861، فكان بذلك أول دستور إسلامي⁽⁵³⁾.

وتجدر الإشارة إلى أن أحمد ابن أبي الضياف إلى فرنسا خلال تدوينه لمجريات رحلته رفقة الباي أحمد لم يهمل الحديث عن مزايا الثورة الفرنسية، التي اعتبرها مستهل تاريخ جديد للبشرية نقلها من طور إلى طور، من العبودية إلى الحرية، ومن الظلم إلى العدل، من التفريق إلى المساواة. ولعلّه يعتبر هذه الثورة بداية لدخول العالم في طور الحداثة، فهو يرى أنه لم يكن قبل هذه الثورة دستور ولا إدارة منظمة ولا اقتصاد متطور ولا سياسة منتظمة⁽⁵⁴⁾. وعليه تفتن لضرورة ترابط الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية مع بعضها البعض في تحقيق التقدم، مشيدا بدور النظام السياسي في تنشيط الحركة الاقتصادية وتحقيق الثروة في الدولة، وذلك من خلال تدعيم الاقتصاد وتوفير الأمن ووسائل الإنتاج والتسويق من مصانع ومواصلات. وبناء على ذلك لم يخف ابن أبي الضياف إعجابه وتأثره بالاقتصاد الأوروبي والثروة التي حققها. حيث أشار إلى طريقة أوروبا في تحصيل المال والثروة والتي تكمن في الشركات والمؤسسات الاقتصادية وما تحققه من أرباح جراء استثماراتها وتحصيل الضرائب⁽⁵⁵⁾. كما لم

(7) رفاعه رافع الطهطاوي (1801 – 1873) : ولد رفاعه بن بدوي بن علي بن رافع الطهطاوي بمدينة طهطا لذلك نسب إليها، وهو ينتهي إلى أسرة شريفة. أجاد القراءة والكتابة وحفظ القرآن منذ صغره . درس بالجامع الأزهر أين تتلمذ على يد شيوخ الأزهر وعلمائه الكبار أمثال حسن العطار. عين كإمام واعظ في البعثة العلمية التي أرسلت إلى باريس سنة 1826، فأتيحت له الفرصة على إثرها لتعلم اللغة الفرنسية ليصبح بعد عودته إلى مصر ابتداء من سنة 1831 أشهر المترجمين. له عدة مؤلفات أبرزها: تخلص الإبريز في تلخيص باريز ، مناهج الألباب في الآداب العصرية وغيرها، للمزيد أنظر: محمد عمارة ، رفاعه رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ط 3، دار الشروق، مصر، 2007.

(8) محمد عمارة، المرجع السابق، ص 141 - 142 .

(9) كتب الطهطاوي تخلص الإبريز في باريس -مصورا رحلته- بعد أن تقدم به إلى لجنة الإمتحان في 1830، ثم أضاف إليه فصولا بعد عودته إلى مصر، وطبعه في حياته طبعين الأولى سنة 1834 والثانية سنة 1849، ثم طبع بعد وفاته طبعة ثالثة سنة 1905، أنظر: نفسه، ص 120.

(10) ولید نوهض، "الباشا الحديث يبعث الشيخ التقديمي إلى باريس رحلة الطهطاوي أسست منج الإندهاش بالفرنجة"، جريدة الوسط، العدد 1386، 23 يونيو 2006، ص 21.

(11) رفاعه رافع الطهطاوي، تخلص باريز في تلخيص باريز، مؤسسة هندواي للتعليم والثقافة، القاهرة، 2012، ص 124.

(12) نفسه، 177 .

(13) نفسه، ص 90.

(14) رفاعه رافع الطهطاوي، المرشد الأمين للبنات والبنين، تقديم: منى أحمد أبو زيد، دار الكتب المصرية – دار الكتاب اللبناني، القاهرة – بيروت.

(15) عبد الرحمن الرفاعي، عصر إسماعيل، ج 1، ط 4، دار المعارف، 1987، ص ص 203 – 204.

(16) رفاعه رافع الطهطاوي، المصدر السابق، ص ص 88 – 91.

(17) نفسه، ص 174.

(18) قاسم وهب، "تجليات الجدانة الأوروبية وتأويلها في النصوص المبكرة للحالين العرب إلى الغرب"، ندوة الرحلة العرب والمسلمين... إكتشاف الذات والآخر، ندوة الرباط الأولى، 2003، ص 346.

(19) نفسه، ص ص 346 - 347.

(20) سمير أبو حمدان، رفاعه رافع الطهطاوي: رائد التحديث الأوروبي في مصر، دار الكتاب العلمي، بيروت، 1996، ص 37.

(21) أحمد خلف، "تخلص الإبريز قراءة في أول رحلة عربية إلى باريس"، جريدة المدى الثقافي، العدد 385، ماي 2005، ص 11.

(22) محمد عياد الطنطاوي (1810-1861): ولد نشأ وتعلم وتخرج من الأزهر الشريف ومارس مهنة التدريس فيه بعض سنوات خلالها جدد في تناول مناهجه، ثم كانت رحلته إلى روسيا ليقضي في عاصمتها بطرسبورغ وقتئذ ما يقرب ربع القرن، خلاله أتقن الروسية واستطاع أن يصل في مهنة التدريس إلى درجة الأستاذية لكريسي اللغة العربية بجامعة بطرسبورغ حيث تلقى العلم على يديه مئات من الأجانب، من أهم مؤلفاته: تحفة الأذكياء بأخبار بلاد روسيا، للمزيد من التفصيل راجع: إغناطيوس كراتشكوفسكي، حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي، ترجمة: كلثوم نصر عودة، مراجعة وتحقيق وتعليق: عبد الحميد حسن وآخرون، تقديم: سامح كريم، الهيئة المصرية العامة، القاهرة، 2013.

(23) محمد عياد الطنطاوي، رحلة الشيخ الطنطاوي إلى البلاد الروسية 1840-1850 المسماة بتحفة الأذكياء بأخبار بلاد روسيا، تقديم وتحقيق: محمد عيسى صالحية، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1992، ص 14.

(24) نفسه، ص 14.

(25) محمد عياد الطنطاوي، المصدر السابق، ص ص 105 - 184.

(26) نفسه، ص ص 185 - 224.

والمجتمعات الإسلامية. وذلك من خلال عرضه لإنطباعاته حول مظاهر العمران والسياسة والثقافة في البلاد الأوروبية، وهذا ما صرح به محمد بيرم الخامس في مقدمة الكتاب⁽⁶³⁾. وعليه فإن الذي يهمننا من هذا المؤلف هو الجزء الثالث الذي ضمن فيه بمحمد بيرم وصفا دقيقا لمظاهر الحضارة الغربية على إثر رحلاته إلى فرنسا وإيطاليا، متجاوزا فيه الإطار الرسمي والدبلوماسي الضيق، وقد ركز اهتمامه بالجوانب السياسية، الاجتماعية والثقافية لفرنسا ودرجة لإيطاليا. أما في المجال السياسي فقد أولى اهتماما للحديث عن النظام السياسي السائد في فرنسا وإيطاليا أين ركز على الإدارة الداخلية للبلدين، وعرج فيه على ذكر المجالس النيابية وبيّن أنواعها، وبين أحداثها ومنها ضرورة الأخذ عنها وتجسيدها على واقع المجتمعات الإسلامية⁽⁶⁴⁾. أما المجال الاجتماعي؛ فقد وقف عند العادات والتقاليد التي طبع بها المجتمع الإيطالي وركز فيها على تحرر المرأة عندهم. وأما المجال الثقافي فقد ستعرض أوجه التطور الفكري، حيث رصد المكتبات ومراكز علمية، وأحصى ما فيها من مجلدات وصحف وكتب⁽⁶⁵⁾.

خاتمة

إن قراءتنا للرحلات المشار إليها سابقا أوضحت لنا نظرة العربي المسلم إلى الواقع الأوروبي وكيفية التعامل معه بعد صدمة اللقاء، وأدركنا من خلالها التدرج في الإعجاب والإنبهار لدى الرحالة المسلمين الذين عايشوا الحياة اليومية واكتشفوا الحياة الأوروبية. إذ لم يأت إعجابا إنفعاليا دون تدقيق وتمحيص، حتى استطاعوا تكوين ملاحظات وآراء وتصورات ضمنوها في كتاباتهم التي أبرزت نوعا جديدا من أدب الرحلات؛ فقد تجاوزوا فيها الصبغ المتعارف عليها في الكتابة من سير وتراجم وجغرافيا وغيرها. وركزوا على الجوانب التاريخية والإقتصادية والاجتماعية التي علّقوا عليها وحلّلوا أفكارها وناقشوا بعض إشكالياتها المطروحة؛ من خلال مقارنتهم للأوضاع المتدهورة في مجتمعاتهم وفي المجتمعات الإسلامية بالأوضاع المتطورة في أوروبا، فدعوا إلى الإستفادة من الحضارة الغربية الصاعدة، والأخذ بمعارف وعلوم وفنون الأوروبيين خاصة إذا لم تتناقى مع الشريعة الإسلامية.

الهوامش:

(1) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، ط 4، مكتبة الشروق الدولية، مصر، 2004، ص 335.

(2) سورة قريش، الآية رقم 02.

(3) حسين محمد فهميم، أدب الرحلات، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1989، ص 11.

(4) حسين محمد فهميم، المرجع السابق، ص 182.

(5) الحبيب الجنتاني، "التحليل إلى أوروبا النهضة العربية ومشروع الجدانة"، مجلة المسار، العدد 71، إتحاد الكتاب التونسيين، تونس، 2005، ص 186.

(6) نفسه .

- (48) مسعود عوادي، إستكشاف الرحلات التونسية والجزائرية للفكر الأوروبي ونقله إلى المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 02، 2010-2011، ص 46.
- (49) أحمد بن أبي الضياف، إتخاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان، مجلد 02، ج 04، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية، الدار العربية للكتاب، تونس، د ت، ص 99.
- (50) نفسه، ص 99.
- (51) نفسه، ج 01، ص 57.
- (52) محمد الحداد، " فكرة الدستور والدولة الدستورية في الزمن العربي الحديث (تونس نموذجاً)"، مجلة التفاهم، العدد 39، 2014، نسخة إلكترونية.
- (53) نفسه، وأنظر أيضا: الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص ص 116 - 127.
- (54) أحمد الطويلي، المرجع السابق، ص 14.
- (55) عبد المجيد بلهادي، "الملل والثروة في الفكر التونسي الحديث: ابن أبي الضياف ويبرم الخامس نموذجا"، مجلة الحياة الثقافية، العدد 224، أكتوبر 2011، ص 40.
- (56) أحمد ابن أبي الضياف، المصدر السابق، ج 01، ص ص 102 - 103.
- (57) الهادي التيمومي، المرجع نفسه، ص ص 116 - 125.
- (58) محمد يبرم الخامس (1840 - 1889): أحد رواد النهضة والإصلاح في تونس، تولى التدريس في جامع الزيتونة، وحرر جريدة الرائد التونسي وترأس جمعية الأوقاف في وزارة خير الدين 1873 - 1877. زار العديد من الدول الأوروبية والعربية. ترك لنا كتابه المعروف بـ : صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، أنظر: احمد عبد السلام، المرجع السابق، ص ص 445 - 461.
- (59) محمد يبرم الخامس التونسي، صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج 01، ط1، المطبعة الإعلامية، مصر، 1883، ص 94.
- (60) بدأ يبرم رحلاته سنة 1875، وكانت وجهته الأولى فرنسا مرورا بإيطاليا بغرض العلاج، ثم عاد و زار باريس سنة 1878 لنفس السبب وفي طريق العودة زار الجزائر وعابن عن كتب الإحتلال الفرنسي، ثم زار في سنة 1879 لندن لأول مرة وفي ذات السنة ارتحل إلى الحجاز لأداء فريضة الحج وفي طريقه إليها زار الإسكندرية والقاهرة ، وفي طريق عودته من الحجاز إلى تونس وعلى إثر ركوبه في سفينة نمساوية، زار بيروت إلى جانب إسطنبول التي أعجب بها كثيرا. وأخر رحلاته كانت سنة 1887 زار خلالها مدنا وعواصم الأوروبية (فلورنسا، باريس، لندن، برلين، فيينا)، للزيد من التفصيل حول هذه الرحلات راجع في ذلك: أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص ص 450-455.
- (61) حرر محمد يبرم الخامس كتاب صفوة الإعتبار في السنوات التي قضاها بإسطنبول بين سنتي 1880-1884، وتم طبع الأجزاء الأربعة الأولى من الكتاب في مطبعته الخاصة " المطبعة الإعلامية " بين سنتي 1884 - 1885، وطبع ابنه الجزء الخامس في مطبعة " المقتطف " بين سنتي 1893-1894، أنظر: نفسه، ص 456.
- (62) محمد القاضي وآخرون، المرجع السابق، ص 41.
- (63) محمد يبرم الخامس التونسي، المصدر السابق، ص 03.
- (64) محمد صالح المراكشي، " مفهومات الرحلة من خلال كتاب محمد يبرم الخامس " صفوة الإعتبار في مستودع الأمصار والأقطار"، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد 17، تونس، يناير 1979، ص ص 282-283.
- (65) نفسه، ص ص 238-240.
- قائمة المصادر والمراجع:
- أ) قائمة المصادر:
1. القرآن الكريم
 2. يبرم محمد الخامس التونسي، صفوة الإعتبار بمستودع الأمصار والأقطار، ج 01، ط1، المطبعة الإعلامية، مصر، 1883.
 3. التونسي خير الدين، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم: محمد حداد، دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، القاهرة -بيروت، 2012.
 4. ابن أبي الضياف أحمد ، إتخاف أهل الزمان في أخبار ملوك تونس وعهد الأمان ، ج 01 و 04، تحقيق لجنة من وزارة الشؤون الثقافية ، الدار العربية للكتاب ، تونس ، د ت.
- (27) حول المقارنة بين رحلة محمد عياد الطنطاوي ورفاعة رافع الطهطاوي أنظر: من تراث الشيخ محمد عياد الطنطاوي أول معلم للعربية في البلاد الروسية، تقديم وتحقيق: حسين الشافعي، ط 1، أبناء روسيا، القاهرة، 2013، ص ص 26-29.
- (28) محمد أمين فكري بك (1856 - 1899): ولد وتوفي في القاهرة، درس علم الحقوق في فرنسا، عين قاضيا بمحكمة الإستئناف الأهلية فمحافظة للإسكندرية فناظرا للدائرة السنية. له عدة مؤلفات منها: إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا، جغرافية مصر، الآثار الفكرية، للزيد أنظر: آرثر جولد شميت، قاموس تراجم مصر الحديثة، ترجمة وتحقيق: عبد الوهاب بكر، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة، مصر، 2003، ص 538.
- (29) محمد أمين فكري، إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا، مطبعة المقتطف، مصر، 1892.
- (30) نفسه.
- (31) نفسه، ص ص 300 - 520.
- (32) محمد أمين فكري، المصدر السابق، ص ص 566 ، 574 ، 590 ، 722 - 723.
- (33) نفسه، ص ص 63-65 ، 154 - 155 ، 291 - 292 ، 462 - 463.
- (34) نفسه، ص 251.
- (35) نفسه، ص ص 379 - 391 ، 502 ، 525 - 526.
- (36) خير الدين التونسي (1820 - 1890) : شركسي الأصل قدّم إلى تونس كعبيد سنة 1839 أين اشتراه الباي أحمد. تقلّد عدّة مناصب تأرجحت بين المناصب العسكرية والإدارية أبرزها سنة 1852 جنرال، 1870 وزيرا مباشرا، 1873 وزيرا أكبر. زار العديد من الدول الأوروبية في ظل المهتمات الدبلوماسية التي كلّف بها. شارك في صياغة قانون عهد الأمان، أنظر: أحمد عبد السلام، المؤرخون التونسيون في القرون 17 و 18 و 19 رسالة في تاريخ الثقافة، ترجمة: أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحليوي، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة، تونس، 1993، ص ص 366 - 375.
- (37) شملت رحلة خير الدين فترتين الأولى كانت إلى فرنسا ما بين 1853 - 1856 ، والثانية إلى الدول الأوروبية ما بين 1862-1864 نذكر منها هي: إنجلترا والنمسا وروسيا وبروسيا وعصبة جرمانيا وإيطاليا وإسبانيا والسويد والنرويج وهولندا والدانمارك وباواريا وبلجيكا والبرتغال وسويسرا واليونان وإمارة بادن الكبرى والفريترغ، أنظر: خير الدين التونسي، أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك، تقديم: محمد حداد، دار الكتاب المصري-دار الكتاب اللبناني، القاهرة -بيروت، 2012، ص ص 48 - 49.
- (38) الهادي التيمومي ، تونس والتحديث 1831-1877 أول دستور في العالم الإسلامي، دار محمد علي حامي، تونس، 2010، ص 180.
- (39) نفسه، ص 362.
- (40) كتب خير الدين التونسي أقوم المسالك بعد إعتزاله من السياسة بتونس 1862، وقد أعان في تحريره سالم بوحاجب، وتم طبعه بالمطبعة الرسمية التونسية سنة 1868، بعد أن وافق عليه محمد الصادق باي . كان أول تحقيق للكتاب في القرن العشرين من قبل الدكتور منصف الشنوفي ثم معن زيادة ، أنظر : محمد الهادي عيسى ، "خير الدين التونسي مقدمة كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك "، مجلة حوليات تونسية ، العدد 22، تونس ، ص ص 199 - 218.
- (41) خير الدين التونسي، المصدر السابق، ص ص 3-137.
- (42) نفسه، ص ص 66 - 67.
- (43) قاسم وهب، المرجع السابق، ص 363.
- (44) الهادي التيمومي، المرجع السابق، ص ص 116 - 125.
- (45) أحمد عبد السلام، المرجع السابق، ص ص 373 - 374.
- (46) أحمد بن أبي الضياف (1802 - 1874): مؤرخ وسياسي تونسي، تقلد عدّة مناصب سياسية من كاتب إلى سفير ثم مستشار فوزير. اشتهر بكتابه إتخاف أهل الزمان بأخبار ملوك تونس وعهد الأمان، الذي دون فيه رحلته رفقة الباي أحمد سنة 1846. أنظر: نفسه، ص ص 383 - 437.
- (47) ألف ابن أبي الضياف كتاب إتخاف أهل الزمان بين سنتي 1862 و 1872، ولم يطبع إلا في عهد تونس المستقلة بين 1963 و 1966، أنظر: نفسه، ص ص 410 - 411.

- الرسائل الجامعية : (2)
1. عوادي مسعود، إستكشاف الرحلات التونسية والجزائرية للفكر الأوروبي ونقله إلى المغرب العربي خلال القرن التاسع عشر، مذكرة ماجستير في التاريخ المعاصر، جامعة الجزائر 02، 2010-2011
- (3) المقالات :
1. بلهادي عبد المجيد ، "المال والثروة في الفكر التونسي الحديث : ابن أبي الضياف ويوم الخامس نموذجاً" ، مجلة الحياة الثقافية ، العدد 224 ، أكتوبر 2011
2. الجنحاني الحبيب، "الرحيل إلى أوروبا النهضة العربية ومشروع الحداثة"، مجلة المسار، اتحاد الكتاب التونسيين ، تونس ، العدد 71 ، 2005
3. الحداد محمد، "فكرة الدستور والدولة الدستورية في الزّمن العربي الحديث (تونس نموذجاً)" ، مجلة التفاهم ، العدد 39 ، 2014 ، نسخة إلكترونية .
4. خلف أحمد، "تخليص الإبريز قراءة في أول رحلة عربية إلى باريس" ، جريدة المدى الثقافي، ع 385، ماي 2005.
5. عيسى محمد الهادي، "خير الدين التونسي مقدمة كتاب أقوم المسالك في معرفة أحوال الممالك"، مجلة حوليات تونسية ، العدد 22، تونس
6. المراكشي محمد صالح ، "مفهوم الرحلة من خلال كتاب محمد بيوم الخامس صفة الاعتبار في مستودع الأمصار والأقطار"، مجلة حوليات الجامعة التونسية، العدد 17، تونس، يناير 1979
7. نوبهض وليد ، "الباشا الحديث يعث الشيخ التقديمي إلى باريس رحلة الطيطاوي أسست منح الإندهاش بالفنجة" ، جريدة الوسط ، العدد 1386 ، 23 يونيو 2006
8. وهب قاسم ، "تجليات الحداثة الأوروبية وتأويلها في النصوص المبكرة للرحالين العرب إلى الغرب" ، ندوة الرحالة العرب والمسلمين ...إكتشاف الذات والآخر، ندوة الرباط الأولى، 2003
- (ت) المعاجم :
1. مجمع اللغة العربية ، المعجم الوسيط ، ط4 ، مكتبة الشروق الدولية ، مصر ، 2004 .
5. الطنطاوي محمد عياد ، رحلة الشيخ الطنطاوي إلى البلاد الروسية 1840-1850 المسماة بتحفة الأذكىء بأخبار بلاد روسيا ، تقديم وتحقيق : محمد عيسى صالحية ، مؤسسة الرسالة ، بيروت، 1992 .
6. _____، من تراث الشيخ محمد الطنطاوي أول معلم للعربية في البلاد الروسية، تقديم وتحقيق: حسين الشافعي، ط1، أنباء روسيا، القاهرة، 2013.
7. الطهطاوي رفاعه رافع ، تخليص باريز في تلخيص باريز ، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ، القاهرة ، 2012
8. المرشد الأمين للبنات والبنين، تقديم: منى أحمد أبو زيد، دار الكتب المصرية- دار الكتاب اللبناني، القاهرة - بيروت .
9. الأعمال الكاملة لرفاعة رافع الطهطاوي السياسية..والوطنية..والتربية، دراسة وتحقيق: محمد عمارة، ج 01، دار الشروق، 2010 .
10. فكري محمد أمين ، إرشاد الألبا إلى محاسن أوروبا ، مطبعة المقتطف ، مصر ، 1892 .
- (ب) قائمة المراجع :
- (1) الكتب :
1. التيمومي الهادي، تونس والتحديث 1831-1877 أول دستور في العالم الإسلامي، دار محمد علي حامي ، تونس ، 2010
2. شميت آرثر جولد، قاموس تراجم مصر الحديثة، ترجمة وتحقيق : عبد الوهاب بكر، ط 1، المجلس الأعلى للثقافة ، مصر، 2003
3. عبد السلام أحمد ، المؤرخون التونسيون في القرون 17 و 18 و 19 رسالة في تاريخ الثقافة، ترجمة : أحمد عبد السلام وعبد الرزاق الحليوي ، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون بيت الحكمة ، تونس ، 1993
4. عمارة محمد، رفاعه رافع الطهطاوي رائد التنوير في العصر الحديث، ط 3، دار الشروق ، مصر ، 2007.
5. فهم حسين محمد، أدب الرحلات ، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، 1989
6. كراتشكوفسكي إغناطيوس، حياة الشيخ محمد عياد الطنطاوي ، ترجمة : كلثوم نصر عودة ، مراجعة وتحقيق وتعليق : عبد الحميد حسن وآخرون ، تقديم : سامح كريم ، الهيئة المصرية العامة، القاهرة ، 2013 .

